بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين؛ نبيِّنا محمد ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

الحديث التاسع

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدَر حتىٰ العَجْز والكَيْس» رواه مسلم.

هذا الحديث الذي أورده المصنِّف رحمه الله هو من جوامع كلم النبي ﷺ؛ بل هو قاعدة كلية من قواعد الاعتقاد، وهو أحد أدلة أصلٍ عظيم من أصول الإيمان السِّتّة ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان كما هو معلوم لدىٰ الجميع يقوم علىٰ أصولٍ ستَّة ذكرها النبي ﷺ مجتمعة في حديث جبريل عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان قائلًا: أخبرني عن الإيمان، قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان؛ بل قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالتوحيد وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبُه توحيدَه" والمعنىٰ: إن من لم يؤمن بالقدر ليس بموحد ولا بمؤمن؛ لأن من الإيمان بالله جل وعلا الإيمان بأقداره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور كلَّها بقضاء الله وقدره، وأنه سبحانه وتعالىٰ النافع الضار، المعطي المانع، الخافض الرافع، القابض الباسط، المحيي المميت، المدبر لشؤون الخلائق كلِّها، فمن لم يؤمن بهذا ما آمن بالله؛ لأنَّ تكذيبه بالقدر نقض توحيده وإيمانه بالله؛ كما قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، وكيف يكون مؤمنًا من هو مكذِّبٌ بدِعامةٍ من دعائم الدِّين؟

وبالقـدر المقـدور أيقن فإنه ... دعامة عقـد الدِّين والدِّينُ أفيـحُ

فالإيمان بالقدر دعامة من دعائم الدِّين، ومن شأن الدعامة أنها إذا زالت زال ما بُني عليها، وإذا هُدمت أو انهدمت انهدم ما قام عليها؛ لأن البناء لا يقوم إلا علىٰ دعائمه وأعمدته، وبناء الإيمان لا قيام له إلا علىٰ هذه الأصول التي أحدها الإيمان بأقدار الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والإيمان بالقدر لا يكون ولا يصحّ إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة: العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد.

علم الله عزَّ وجلَّ الأزلي المحيط الشامل بكل ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وكتابته تبارك وتعالىٰ لمقادير الخلائق في كتابٍ قبل خلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأنَّ الأمور

بمشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ المخلوقات كلَّها بقضائه وقدره، وهو الذي أوجدها ﷻ، وهو الخالق لكلِّ شيء.

فمن لم يؤمن بهذه المراتب الأربع ليس مؤمنًا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر ليس مؤمنا بالله، وكما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القدرُ قُدرة الله ".

والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾[النور]، فمن لم يؤمن بالقدر ما آمن بالله جل وعلا، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[الأحزاب]، ويقول تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[الأعلىٰ]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾[طه]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[القمر]، ولا يكفي هذا المعنىٰ كثيرًا؛ فمن لم يؤمن بالقدر كلِّه حلوة ومره من الله تعالىٰ لم يكن مؤمنًا بالله، ولم يكن مؤمنًا بالقرآن؛ لأن القرآن فيه الآيات الكثيرة المتضافرة في الدَّعوة إلىٰ الإيمان بالقدر، ولم يكن مؤمنًا بالرُّسل؛ لأن الرسل كلَّهم دعاة للإيمان بالقدر متَّفقون علىٰ دعوة أممهم إلىٰ الإيمان بأقدار الله تبارك وتعالىٰ، وأنَّ الأمور كلَّها بقدر، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، هذا مما اتفق عليه الأنبياء؛ لأن أمور العقيدة والتوحيد والإيمان أمورٌ مشتركة بين الأنبياء، لا خلاف بين نبيٍّ وآخر فيها؛ كما قال ﷺ: «نحن الأنبياء أبناء علات؛ ديننا واحد وأمهاتنا شتَّىٰ» أي: عقيدتنا واحدة وأصولنا واحدة؛ ولكن الشرائع قد تختلف من نبي إلىٰ آخر، الشرائع قد يدخل عليها النسخ، أما العقيدة فلا يدخلها نسخ؛ ثابتة وأمرها مستقر عند جميع الأنبياء.

والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد هذا الحديث وهو واحدٌ من عشرات؛ بل مئات الدلائل من الكتاب والسنة علىٰ الإيمان بهذا الأصل العظيم؛ بل إنَّ هذا الحديث فيه تقريرٌ لقاعدة كلِّيّة في الباب.

قال عليه الصلاة والسلام: «**كلُّ شيءٍ بقدر**» يتناول قوله: «**شيء**» جميع الكائنات وعموم المخلوقات؛ أشخاصَها، وما يكون فيها من حركات وسكنات وقيام وقعود، كلُّ ذلك بقدر، إيجاد ذوات المخلوقات وإيجادُ ما يكون في المخلوقات من حركاتٍ وسكنات، وقيام وقعود، وهدىٰ وضلال وكفر وإيمان، كل ذلك بقدر، ليس هناك شيء في مُلك الله تبارك وتعالىٰ خارجًا عن قدرته وعن مشيئته ﷻ، فكل ما في هذا الكون هو بقدر، يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: " كل شيء بقدر حتىٰ وضعك كفك علىٰ ذقنك هكذا بقدر".

والحديث واضح قال: «**كل شيء بقدر**» يعني: كل الأمور والأشياء والكائنات والمخلوقات والحركات والسكنات، كل ذلك بقدر ولا يمكن إطلاقًا أن يكون في مُلك الله ﷻ مالم يشأه جل وعلا وما

لم بقدره.

يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد علىٰ ما علمت ... وفي العلم يجري الفتىٰ والمسن
هذا فتنت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

يعني: كل هذا بقدر؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس**» أيضًا هذا بقدر، وهذا ليس للتخصيص وإنما للتمثيل، وإلا كل الأشياء العجز والكيس والقوة والضعف والنباهة وضدها والموت والحياة والهدىٰ والضلال والصحة والعافية والشدة والرَّخاء كل ذلك بقدر، قال عليه الصلاة والسلام «**كل شيء بقدر**».

قال: «**حتَّىٰ العجز والكيس**» العجز معروف وهو تواني الإنسان وفتوره وتراخيه وبرود همته، وضعف عزيمته، وقلة اهتمامه بالنافع من الأمور في دينه ودنياه؛ فهذا عجز، فالعجز بقدر، والكيس وهو ضد العجز وهو النباهة والفطنة والحذق وحسن الهمة والاهتمام ورعاية الأمور والحزم وعلو المقصد، إلىٰ غير ذلك من المعاني، أيضًا هذا بقدر.

«**حتىٰ العجز والكيس**» **والعجز** لا يورث صاحبه إلا الخيبة، ولا ينال من ورائه إلا الحرمان، وما يحصل من عجزه وتوانيه وكسله وبرود همته ما يحصِّل من ورائها إلا الخيبة والحرمان.

أما **الكيس** وهو الفطنة والنباهة وعلو الهمة ونشاط العزيمة، فهذه التي معها بلوغ المقاصد، ونيل المآرب وتحقيق الغايات، والناس بين هذين الوصفين؛ بين عاجز وكيِّس.

وقد جاء في حديث في سنده كلام أن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله الأماني» هذا وإن كان سنده ضعيف إلا أن معناه صحيح، وما يدل عليه أمر واضح وبين، «الكيس من دان نفسه» يعني: حاسب نفسه وعاتبها، «وعمل لما بعد الموت» هذه هي الكياسة والفطنة يحاسب نفسه علىٰ تقصيره وعلىٰ إخلاله وعلىٰ عدم قيامه وفي الوقت نفسه يعمل لما بعد الموت يعد العدة وهو يهيئ الزاد. «والعاجز من أتبع نفسه هواها» كل ما هوته نفسه واشتهته فعلة. «أتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله الأماني» يعني: مع عجزه وتوانيه وفتوره وتراخيه واتباعه لشهواته

وحظوظ نفسه يتمنىٰ علىٰ الله الأماني مع تقصيره يقول: أنا أتمنىٰ أن أكون في الجنة وأن أكون في الدرجات العلىٰ منها وألا أكون من أهل النار. ولا يعمل عمل الآخرة ولا ينشط للقيام بأعمالها، والله جل وعلا يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]

لو كانت المسألة أماني فقط فإن اليهود يقولون في أمانيهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾ [البقرة:١١١]....

لأن الأمر ليس بمجرد الأماني، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ ولهذا العجز دمار علىٰ الإنسان ومهلكة وحرمان وإضاعة للخير، والعاجز دائمًا محروم من خيري الدنيا والآخرة، بينما الكيّس الفطن الحارث الهمام صاحب الهمة والعزيمة، هذا الذي يبلغ بإذن الله تبارك وتعالىٰ جميل المقاصد وطيِّب الغايات.

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس» وهذا فيه فائدة عظيمة مهمّة جدًّا لمن يؤمن بأقدار الله تبارك وتعالىٰ، إذا علم أن عجز الإنسان أو كيسه أي: فطنته ونباهته بقدَر فإنه يحتاج في هذا المقام إلىٰ أمرين لابد منهما ليسلم من العجز ليكون من أهل الكيس:

الأول: التجاء صادق إلىٰ الله واعتماد عليه وتوكُّل عليه وطلب عون منه واستهداء به ﷻ واستعانة؛ لأن الأمور بقدر، فلا يمكن أن تكون كيِّسًا إلا إذا قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ لك ذلك، فأنت تحتاج إلىٰ عون الله وتوفيقه وتسديدة وهدايته وإعانته.

الأمر الثاني: بذل السَّبب الذي تكون به من أهل الكياسة ولا تكون به من أهل العجز فلا بد من الأمرين؛ اعتماد علىٰ الله، وبذلٌ للأسباب.

العجز والكيس بقدر، فمن أراد أن يتخلَّص من العجز، ويكون من أهل الكيس فهو يحتاج إلىٰ الأمرين معًا: عون الله، وبذل السبب.

وسيأتي معنا قول النبي ﷺ: «احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله» ومما ينفع الإنسان كونه من أهل الكيس والفطنة والنباهة والهمة العالية، «احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله» وقال عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكَّل» والله جل وعلا يقول: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود:١٢٣]، ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، ولهذا الحديث ونظائره يدلُّ علىٰ أنَّ إيمانك بالقدر لا يتنافىٰ مع فعلك للسبب، بل فعلُك للسبب من تمتم إيمانك بالقدر، وهنا تزل أقدام كثير من الناس وتختلط

عليهم الأمور ويجنحون إلىٰ مجنحين خاطئين:

أحدهما: أن يعتمد علىٰ القدر ويعطِّل السبب.

والثاني: يفعل السبب ويعتمد عليه، ويعطِّل الإيمان بالقدر.

وكلٌّ المسلكين ضلال، وحصول الخير والفلاح والسعادة وبلوغ الغايات النافعة إنما يكون بالأمرين معًا «احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله» يعني: ابذل السبب ولا تعتمد عليه، وإنما اعتمد علىٰ الله ﷻ، ولهذا الإيمان بالقدر لا يتنافىٰ مع فعل السبب؛ بل فعل السبب من تمام الإيمان بالقدر، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم النبيَّ ﷺ سؤالا يرد علىٰ الأذهان إذا كان كل شيء بقدر فلماذا نفعل السَّبب؟ قالوا: يا رسول الله؛ أنعمل في أمر قُدِّر وقُضي، أو في أمر مستأنف – يعني لم يقدَّر ولم يُقض- ؟ قال: «بل فيما قُدِّر وقُضي» قالوا: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة يسرة الله لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة» الحديث في «الصحيحين»، فذكر عليه الصلاة والسلام الأمرين؛ فعل السبب والاعتماد علىٰ الله.

قال: «اعملوا» هذا فعل السبب.

«فكل ميسر لما خلق له» هذا الاعتماد علىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

ولهذا لا يكون بلوغ النَّافع والمقاصد الحميدة والغايات الطيبة في الدنيا والآخرة إلا بهذين الأمرين معًا: فعل السبب، والاعتماد علىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

هذا معنىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «**كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس**» ولاحظ هنا أن العجز والكيس أوصافٌ قائمة بالناس، وهو دليل واضح وصريح علىٰ أن الأمور كلها بقدر، الأشخاص والذَّوات وأيضًا ما يقوم فيها من أوصافٍ وأعمال وحركات وسكنات، فليْس الذي بقدر هو ذوات النَّاس وأشخاصهم فقط بل ذواتهم وأشخاصهم وأيضًا ما يقوم فيهم من أعمال وصفات، فذلك كلُّه بقدر، اهتداء من اهتدىٰ وضلال من ضلَّ، وإيمان من آمن وكُفر من كفر كل ذلك بقدر، ومن يُريد لنفسه السلامة من خِزْي الدُّنيا والآخرة فليس أمامه إلا طريقٌ واحد أن يؤمن بالقدر ويفعل السَّبب معتمدًا علىٰ الله تبارك وتعالىٰ لا علىٰ السَّبب.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا

ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» رواه مسلم.

هذا الحديث العظيم الذي أورده المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هو في بيان فضل الدعوة إلىٰ الله وتعليم الناس الخير وتوجيههم إلىٰ ما فيه خيرهم في دينهم ودنياهم، وأيضًا التَّحذير من الدَّعوة إلىٰ الضلال وخطورة ذلك علىٰ من كان داعية إلىٰ الضلال أيًّن كان الضلال الذي يدعو إليه وبحجم الضلالة الذي يدعو إليه وعدد من اتبعه عليه يكون أوزاره وما يحمله من آثام يلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ بها، فالحديث فيه بيان الدعوة إلىٰ الخير والهدىٰ والعلم النافع، وخطورة الدعوة إلىٰ الضلال والباطل والانحراف.

أما الجانب الأول فيقول عليه الصلاة والسلام: **«من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**.

(هدىٰ) المراد به هنا أي: ما جاء عن النبي ﷺ ودعا إليه، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، فالهدىٰ إنما هو ما جاء به رسولنا عليه الصلاة والسلام، وما سوىٰ ما جاء به رسولنا عليه الصلاة والسلام من دين الله فليس من الهدىٰ، وكلُّ أمر يدعىٰ أنه من الدين لم يأتِ به الرسول الكريم ﷺ فليس من الهُدىٰ؛ لأنَّ الهدىٰ أتم النبي ﷺ بيانه وأكمل إيضاحه، والله جل وعلا قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣] فلم يمُت عليه الصلاة والسلام حتَّىٰ أتم الله به بيان الهدىٰ ودين الحق، ولا يقول من عرف الرَّسول ﷺ وقدَره قدْره أن شيئا من الهدىٰ بقي لم يُبيَّن. ولهذا قال العلماء: "من استحسن فقد شرع".

وبناءً علىٰ القاعدة الكلية التي ذكرها عليه الصلاة والسلام: «كلُّ بدعة ضلالة» فكل ما لم يكن دينًا مبيَّنًا من الرَّسول الكريم ﷺ فلا يكون دينًا ولا يكون هدًىٰ إلىٰ قيام الساعة، فالهدىٰ ما جاء به ودعا إليه واتَّبعه عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هذا هو الهدىٰ، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد علىٰ هذا الأمر تأكيدًا مستمرًا؛ فكان يقول في خطبة كل جمعة: «أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هُدىٰ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» فالهدىٰ ما جاء به الرسول الكريم ﷺ.

وإذن قوله: **«من دعا إلىٰ هدىٰ»** لا يدخل تحته إلا السُّنن الثابتة عنه ﷺ، وما سوىٰ ذلك ممَّا أحدثه النَّاس لا يدخل تحت قوله: **«من دعا إلىٰ هدىٰ»**، وإنما تدخل تحت قوله: **«من دعا إلىٰ ضلالة»**؛ لأن من أراد دعوة الناس إلىٰ الهدىٰ فليدعهم إلىٰ ما يخترعه هو ويُحدثه هو وأشياخُه أو إلىٰ ما صح وثبت عن

النبي ﷺ؟ أي الأمرين الهدىٰ؟ ولهذا لا يمكن أن يكون الهدىٰ إلا في الذي جاء عنه عليه الصلاة والسلام وما سوىٰ ذلك ضلالة، والحديث واضح.

وأيضًا قال عليه صلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وتعجب غاية العجب من بعض الناس تتعلَّق قلُوبهم بأمور من البدع يعدونها هدىٰ، وفي الوقت نفسه يتركون سننا صحيحة وأحكاما ثابتة وهدىٰ مستبين ثابت عن النبي ﷺ يفرِّطون فيه ولا يدعون إليه ولا يتواصون علىٰ القيام به، ويقبلون علىٰ بدع ومحدثات وأمور مخترعات يتواصون بها ويتعاونون علىٰ القيام بها؛ بل إن البعض بلغ به الأمر لا يهتم بالفرائض كالصلوات الخمس مثل اهتمامه ببعض البدع التي تعلق بها قلبه، فتجده مهتمًا بهذه البدع يوالي عليها ويعادي ويعظم من شأنها، والفرائض لا يهتم بها مثلما يهتم بتلك البدع التي اهتم بها قلبه، وهذا خطأ عظيم علىٰ من كان كذلك.

فإذن قوله: «**من دعا إلىٰ هدىٰ**» الهدىٰ كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ وما كان عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان هذا هو الهدىٰ، وما سوىٰ ذلك فهو ضلال، من ترك ما كان عليه النبيُّ ﷺ ولم يقتف آثاره عليه الصلاة والسلام فإنَّه علىٰ ضلال.

قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر**» انظر فضل الدّعاة إلىٰ الهدىٰ وإلىٰ الكتاب والسنة «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»

«**مثل أجور من تبعه**» فيكون له مثل أجر أتباعه، وليس فقط أجر من تبعه من دعوته مباشرة، وإنما أيضًا ما تفرَّع عنها وأمتد منها إلىٰ قيام الساعة فإنَّ له مثل أجره.

ولهذا فإن الحديث... النبيّ الكريم ﷺ وأيضًا من ثوابه عند الله تبارك وتعالىٰ؛ لأن أتباعه من زمن الصحابة إلىٰ قيام السَّاعة أعمالهم كلّها وما يقومون به كله للنبي ﷺ مثله؛ لأنه ﷺ هو الذي دعاهم إليه. ثم تأتي بعد ذلك منزلة الصحابة في الفضل والخيرية، فكل خير في الأمة للصحابة فيه أجر.

نحن الآن إذا أردنا أن نسمع أحاديث الرسول ﷺ لا يمكن أن نعرف حديث من أحاديثه إلا ويكون بيننا وبينه واسطة صحابي عن أبي هريرة، عن أبي بكر، عن عمر، عن عثمان، عن علي، عن غيرهم من الصحابة، فهؤلاء الصحابة نقلة السنة وحملة الهدىٰ ودعاة الخير لهم مثل أجور الأمّة كما في هذا الحديث.

ثم بعد ذلك فضل العلماء ورثة الأنبياء، وعظم ثوابهم عند الله تبارك وتعالىٰ، ولولا العلماء وبيانهم لدين الله ما عرَف الناس الهدىٰ، قال أحد السلف: "لولا العلماء لأصبح الناس مثل البهائم"؛ لأن الناس كيف يعرفون الأحكام وبيان الدِّين إلا بالعلماء، العلماء هم الذين يفقِّهون الناس دين الله ويبينون لهم الحرام والأحكام ويقولون: هذا حلال وهذا حرام، هذا جائز وهذا لا يجوز، وهذا سنة وهذا بدعة، قال الله تعالىٰ، وقال رسول الله ﷺ. لولا بيان أهل العلم يصبح الناس مثل البهائم ما يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يتوضؤون، ولا كيف يبيعون، ولا كيف يشترون، ولا ما لحلال وما لحرام ما يعرفون ذلك إلا بمنة الله عليهم بالعلم، ولهذا فضل العلماء عند الله عظيم ومكانتهم رفيعة قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزُّمَر:٩] ويقول تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩]، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلك]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب» انظر في هذا المثال البديع، القمر يضيء الدنيا أما النجوم فهي جميلة في نفسها ومضيئة فمثلها العابد نفعه لنفسه، أما العالم فنفعه متعدٍّ يبين للناس ويوضح ويشرح، يعلم الجاهل، ويجيب السائل، ويعض الغافل فنفع العلم عظيم.

قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه**»، ولينتبه هنا إلىٰ أن هذا الفضل مرتبط بالدعوة إلىٰ الهدىٰ أما من لم يكن مستبين ما يدعو إليه إنما يدعو الناس بجهل وبغير بصيرة وعلم فالخطر عليه وعلىٰ غيره عظيم، كما قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من عبد الله بغير علم أو من دعا الله بغير علم كان ما يفسد أعظم مما يصلح. ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]، ولهذا الدعوة لابد أن تكون إلىٰ هدىٰ، ولابد أن يكون الداعية عالمًا بأن ما يدعو إليه هدىٰ. ولهذا من شروط الدعوة الأساسية التي لابد منها العلم بما يدعو إليه، ولا يشترط في الداعية أن يحيط علمًا بالشريعة وأن يلم بأحكامها، لكن يشترط فيه أن يكون علىٰ علم بما يدعو إليه، فإذا دعا الناس إلىٰ شيء يكون متحققًا أن ما يدعوهم إليه دين الله وإلا فالجرم عظيم والخطر جسيم، والله يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦] فلا يجوز أن يقول علىٰ الله وفي دين الله إلا ببصيرة وعلم وهدىٰ.

والحديث فيه دلالة علىٰ أن من أسس الدعوة معرفة الهدىٰ الذي يدعو إليه، وقبل ذلك لا يدعو الإنسان حتىٰ يعرف الهدىٰ بنفسه، فإذا عرفه دعا إليه، أما بدون معرفته فإنه لا يكون مؤهلًا للدعوة علىٰ خلاف ما يفعله بعض المتصوفة ومن علىٰ شاكلتهم ممن من دخل في طريقهم رشّحوه للدعوة من أول ساعة وصدَّروه للبيان من أول لحظة، وقالوا له: تقوم الآن وتبين للناس وتعلمهم فيقول: أنا ما أعرف ولا عندي علم أنا من العصاة ومن المذنبين ولا تفقهت ولا تعلمت، وكيف أقوم الآن أمام الناس أعلمهم يقول: أبدًا أنت إذا كنت نيتك طيبة وتريد نفع الناس إذا وقفت أمامهم وقلت: الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، يدخل عليك العلم مع رأسك مثل المرزاب يصب من فمك، قم أمام الناس وتوكل علىٰ الله لا تبالي، الله يفتح عليك، قُم، فيقوم وهو لا يعرف شيء ثم يتكلم فيأتي بالآية ويخطئ يقول قال الله تعالىٰ ولا يقول كلام الله وإنما يقول كلامًا ليس كلام الله، يخطئ فيه، ويقول حديثا لا يدري ما هو ولا كيف هو ولا هل قاله حقا رسول الله ﷺ، ويقول حكمًا لا يدري هل هو راجح أم مرجوح هل هو صحيح أو، ثم يدعم كلامه ببعض القصص والسوالف التي يستحضرها، كنا في وقت كذا وحصل كذا ورأينا كذا، وقد تكون عاطفته قوية لحظة توبته، فيكون سريع العبرة، حاضر الدمعة؛ فيبكي أمام الناس فيبكون من هذا البيان الذي حصل، متأثرين بالدمعة التي رأوها علىٰ خدة، وبالعبرة التي خرجت من حلقة، ثم يقولون: انظر كيف براعتك في البيان، الناس بكت وتأثرت وانتفعت بك، وعندك هذا الخير وتظن أن، فيبدأ المسكين يدخل في هذا الباب ويتصدَّر ويتكلم في دين الله ثم يحسب أنه من الدُّعاة إلىٰ الهدىٰ.

فلاحظ الحديث قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ**» والهدىٰ ما هو؟ عرفناه، الهدىٰ قال الله قال رسوله دين الله هذا هو الهدىٰ العلم بالكتاب والسنة هذا هو الهدىٰ، إذا كان الإنسان لا يعرف لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والأمور تؤتىٰ من أبوابها يجلس ويتعلم ويتفقَّه ويصبر، ثم إذا منَّ الله ﷻ عليه بالعلم والهدىٰ يدعو إليه، وكما قلتُ لا يشترط في الداعية أن يحيط علمًا بأمور الشريعة، وإنما أن يكون علىٰ علم بما يدعو إليه، فيدعو الناس في حدود ما يعلمه من دين الله، ولا يقول علىٰ الله بلا علم.

قال: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**» وهذا أيضا من فضل الله تبارك وتعالىٰ؛ أنَّ العامل له عمله أجر ومن دلّه عليه له أجر، فالدال علىٰ الخير كفاعله كلاهما يشتركان في الأجر دون أن ينقص الأجر من أحدهما؛ بل لهذا أجر ولهذا أجر، هذا له أجر للعمل وذاك له أجر للدَّلالة، وكان فضل الله عظيمًا، قال: «**ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الوِزر**» نسأل الله

العافية والسَّلامة «**مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**» تذكروا فيمن دعا إلىٰ بدعة وضلالة وألَّف فيها كتابًا أو كتب، وكثر أتباعه، والأتباع كثر أتباعهم، وأتباعهم أيضا كثر أتباعهم، مئات وألوف، كم يحمل هذا الذي أحدث البدعة ودعا إليها يوم القيامة من الأوزار، قال الله تعالىٰ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾[النحل].

ولهذا مصيبة الدعاة إلىٰ البدع والدعاة إلىٰ الضلالات عظيمة جدًّا، وفي وقتنا هذا مع اتساع وسائل الاتصال أعظم وأعظم من يدعو إلىٰ ضلالة قد يقول كلمة واحدة عبر القنوات الفضائية أو عبر الشبكة العنكبوتية فيسمعها في لحظة واحدة كم؟ ربما مليون أو ملايين، فإذا اتبعوه ففي لحظة واحدة دخل في ميزان سيئاته بحسب عدد هؤلاء الأتباع مليون، مليونين، ثلاثة، أربعة، فالمصاب عظيم جدا، ولهذا علىٰ من بُلي بشيء من ذلك أن يتدارك نفسه قبل أن يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بآثام لا حدَّ لها ولا عد ولا حصر لها ولا عدد، ملايين وآلاف مؤلفة يسمعونه ويشاهدونه في أنحاء الدُّنيا، ثم يضلُّهم بغير علم أو يفتنهم في دينهم أو يدعوهم إلىٰ شهوة أو إلىٰ شبهة أو إلىٰ ضلال المصاب والله عظيم والبلاء كبير، وإذا لم يتدارك نفسه في الدنيا بتوبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ صادقة فيا عِظم مصيبته يوم القيامة عندما يقف بين يدي الله تبارك وتعالىٰ، وهو يحمل وِزر نفسه ووزر أتباعه، ويا عظم حسرته، ويا شدَّة ندامته، وإذا قال يوم القيامة لله جل وعلا أرجعني مرة ثانية للدنيا أغير وأعدل وأغير المسار ما يقبل منه؛ لكن الفرصة أمامه الآن ما دام في ميدان العمل وفي الحياة الدنيا ليصحح ويكون علىٰ دعوة صحيحة، وبيان صحيح أو يترك الأمر، ولهذا المبتلىٰ بشيء من الفساد خيرٌ له أن يكون فساده قاصرًا عليه، وإن كان الأمر كله شر؛ لكن خير له أن يكون فساده قاصر عليه من أن يكون دعا إليه خلق آخرون يقتدون به، ويتبعونه عليه ويحمل آثامهم وأوزارهم دون أن ينال طائل من وراء ذلك أو نفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، والأمر واضح، ولهذا يجب علىٰ من كان به شيء من الدعوة إلىٰ الضلال أو الباطل أو إلىٰ خلاف هدىٰ الله جل وعلا أن يتدارك نفسه ما دامت روحه في جسده، ما لم يغرغر، أما إذا فارقت روحُه جسدَه فانتهىٰ الأمر وقُضي.

قال: «**من دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثمهم شيئا**».

ثم إنَّ هذا الحديث رواه الإمام مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي، وأيضًا رواه من حديث أبي هريرة، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اكتفىٰ بذِكر رواية أبي هريرة للحديث، والحديث رواه جرير بن عبد الله البجلي وذكر له قصَّة مفيدة جدًّا في فهم الحديث ومعرفة ما يدل عليه، فذكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا يومًا عند النبي ﷺ

فجاء أناسٌ من مضر حافيةً، أقدامهم عاريةً أجسامهم، مجتابي النمار – النمار نوع من القماش الصوف خرقوه من وسطه وأدخلوه في رؤوسهم وتستروا به – من شدة الحاجة وشدة الفقر، فجاءوا علىٰ هذه الهيئة في فقر شديد وحاجة شديدة يمشون حفاة وأجسامهم عراة، فلما رأهم النبي ﷺ تمعَّر وجهه واشتد الأمر عنده عليه الصلاة والسلام ودخل وخرج، وقال: يا بلال أذن بالناس يأتون للصلاة، فأذن بلال يدعو الناس إلىٰ الصلاة فأتوا وتجمعوا في المسجد وصلىٰ بالناس وخطب، خطب خطبة بليغة ذكَّرهم فيها بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأوصاهم، وذكَّرهم، ودعاهم إلىٰ الصَّدقة؛ من يتصدَّق بدينار، من يتصدَّق بدرهم، من يتصدق بتمرة، من يتصدَّق بثوب، دعاهم للصدقة وتأثر عليه الصلاة والسلام غاية التأثر، وهذا من كمال نُصحه صلوات الله وسلامه عليه، فكان من أحد الصحابة وهو من الأنصار ذهب وجاء بصرة لا تكاد تحملها كفُّه من ثقل الدراهم جاء يحملها ثقيلة لا تكاد تحملها كفُّه من ثقلها وجاء ووضع هذه الصرة أمام النبي ﷺ، فرأىٰ الصحابة هذا المال الكبير وهذه المسارعة من هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا المبلغ الكبير الذي دفعه ووضعه أمام النبي عليه الصلاة والسلام، فتسارعوا كلٌّ يتصدق، وكل ينفق وكل يضع حتىٰ وضعوا أمام النبي ﷺ كومين من الصدقة تمر ونقود وثياب، كل وضع ما تيسر، فقال النبي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، لا ينقُص ذلك من أوزارهم شيئًا**» لاحظ القصة ولاحظ كلام النبي عليه الصلاة والسلام، ماذا تفهم من قوله: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» وأنت تقرأ الحديث مع قصته في «صحيح مسلم»؟ «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» ما السنة الحسنة التي سنها هذا الصحابي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ الصَّدقة، الصدقة ما هي؟ أمر مشروع في القرآن والسنة، ودلائل الصّدقة في الكتاب والسنة كثيرة؛ بل في الساعة التي فعل فيها الصحابي هذا الفعل دعا النبي عليه الصلاة والسلام للصدقة، فهل السنة التي جاء بها هذا الصحابي أمر محدثٌ في الدين لا دليل عليه في الكتاب ولا في السنة، أم أنه أمر دل عليه الدين لكنه بادر فكان قدوة في المبادرة وقدوة في تطبيق السنة.

إذن إذا قرأت الحديث مع قصته تعرف أن المراد بـ«**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أي رغَب الناس في سنة بأن يدعوهم إليها سنة ثابتة عن النبي ﷺ بأن يدعوهم إليها أو يطبّقها هو فيقتدون به في عملها، ولهذا لاحظ الحديث يدلُّ علىٰ فائدة عظيمة أن الدعوة إلىٰ الله تكون بلسان المقال وتكون أيضًا بلسان الحال هذا الأنصاري سنَّ سنة حسنة بكلام قاله أو بعمل فعله؟ بعمل فعله، راح وجاء بصرة وضعها عند النبي

ﷺ فسمَّىٰ النبي ﷺ فعله سنة حسنة، فتكون الدعوة بلسان الحال وبلسان المقال، بلسان المقال يبين ويعظ ويستدل، وبلسان الحال هو نفسه يطبق الخير فتتأثر الناس به ويقتدون بعمله فيكتب له، ولهذا يدل الحديث علىٰ أن من تأثر بشخص ليس بقوله وإنما بعمله واقتدىٰ به يكون للمقتدىٰ به مثل أجر من اقتدىٰ به، ليس الحديث خاصًّا بالبيان القولي؛ بل حتىٰ بالدعوة العملية بأن يكون الإنسان قدوة في عمله وعبادته وطاعته فيتأثر الناس بهديه وسلوكه.

هذا معنىٰ قوله: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**».

ثم قال: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها**» بعض المبتلين بالبدع المحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان يأتون إلىٰ مثل هذا الحديث و.. يجردونه عن قصته وعن تمام سياقه، ويقولون: إن في البدع في الدين بدعا حسنة؛ قال ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» ويدخلون تحت قول عليه الصلاة والسلام: «**سنة حسنة**» البدع التي أحدثوها والضلالات التي أنشؤوها ويقولون هذه كلها داخلة تحت قول النبي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» ويغيب عن عقولهم أنَّ ما أتوا به داخل في القسم الثاني من الحديث، وهو قوله: «**من سن في الإسلام سنة سيئة**»؛ لأن البدع كلها ضلالة كما قال عليه الصلاة والسلام، والحسن هو ما دعا إليه ﷺ وثبت عنه مثل ما فعل هذا الأنصاري تصدق والصدقة أمر دعا إليه رسول الله ﷺ؛ لكن يأبا أهل البدع والأهواء إلىٰ أن يزجو ببدعهم كلها تحت قوله عليه الصلاة والسلام: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» والحديث لا يمت إلىٰ ما يقومون به بصلة، ولا يتصل بأفعالهم بأي سبب، وإلصاق أعمالهم بالحديث جناية علىٰ الحديث، وهو عمل سيئ يعاقبهم الله تبارك وتعالىٰ عليه، ولهذا يجب أن تفهم أحاديث الرسول ﷺ وأن تُعرف دلالاتها حتىٰ لا يقول الإنسان علىٰ الله وفي الله وفي دينه وعلىٰ رسوله ﷺ بغير علم.

ونسأل الله جل وعلا أن يجعلنا أجمعين من دعاة الحق والهدىٰ، وأن يعيذنا أجمعين من الدعوة للضلالة والردىٰ.

الحديث الحادي عشر

عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين» متفق عليه.

هذا الحديث المتفق علىٰ صحته هو من أعظم الأحاديث دلالة علىٰ فضل العلم، وأن من يوفق لطلب العلم، ويسلك سبيل تحصيله فهذا أمارة علىٰ إرادة الله تبارك وتعالىٰ به الخير، قال: «**من يُرد الله به خيرا**

يفقهه في الدين»، والحديث له دلالة بمنطوقه، وله دلالة بمفهومه، منطوقه يدل علىٰ أن من فقَّهه الله في الدين وسلك به سبيل التفقه في الدين فهذا من أمارات إرادة الخير، ومن لم يفقِّه في الدين فهذا من أمارات أنه لم يرد به الخير؛ لأن من أراد الله ﷻ به خيرًا فقهه في الدِّين وبصره في الدين ويدل الحديث علىٰ أن الفقه في الدين هو بوابة الخير التي إليه منها يدخل فلا يمكن أن يدخل الإنسان إلىٰ الخير إلىٰ من طريق الفقه في الدين والبصيرة فيه ولا مجال لدخول في الخير إلا من طريق الفقه، ولهذا عظم النبي ﷺ شأن الفقه في الدين، وجعل قيام الإنسان به وعنايته به دليلٌ علىٰ إرادة الله به الخير «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

ثم قوله: «**الدين**»، «**يفقهه في الدين**» ما المراد بقوله الدين؟ أحسن ما يوضح لك هذا حديث جبريل، حديث جبريل ذكر فيه النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام وذكر فيه الإيمان، ذكر الإسلام بدعائمه الخمس، وذكر الإيمان بأصوله الست، وذكر الإحسان بمقامه العظيم أن تعبد الله كأنك تراه، ثم في تمام الحديث قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

إذن ديننا ماذا يتناول؟ يتناول أعمال الإسلام الظاهرة، ويتناول عقائد الدين الباطنة، ويتناول أيضًا مقامات الدين الرفيعة، فكلُّ ذلك داخل في قوله: «**يفقهه في الدين**» فليس المراد بقوله: «**يفقهه في الدين**» تعلُّم الأحكام العملية فقط؛ بل يدخل تحت قوله: «**يفقهه في الدين**» تعلم العقائد الدينية أصول الإيمان، الإيمان بالله والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر والإيمان بالملائكة كل هذا يدخل تحت الفقه في الدِّين، ولهذا بعض العلماء قسم الفقه إلىٰ فقهين فقه أكبر وفقه أصغر:

الفقه الأكبر: العقيدة.

والفقه الأصغر: الأحكام والعبادات والمعاملات.

وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ سما في كتابه الاعتقاد الفقه الأكبر؛ لأن تعلم العقيدة من الفقه في الدين، فليس الفقه في الدِّين هو تعلم الأحكام فقط؛ بل تعلُّم الأحكام، وتعلم العقيدة وتعلُّم أيضًا المنازل التي تبلغ بالمؤمن عالي الرُّتب ورفيع الدرجات، فكل ذلك من الدِّين.

والحديث فيه فضل طلب العلم وملازمة الطلب والعناية بالتحصيل، والجِدّ فيه، وأن العبد مازال علىٰ هذا الطريق، أو ما بقي علىٰ هذا الطريق فهو علىٰ خيرٍ عظيم، ولهذا كان العلماء لا يتركون طلب العلم

إلىٰ أن يتوفاهم الله.

الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر أيام حياته كان يكتب الحديث ويراجع الأحاديث ويقرأ الأحاديث، فقالوا له: إلىٰ متىٰ يا إمام وأنت تطلب العلم؟ فقال كلمته المشهورة: "من المحبرة إلىٰ المقبرة" يعني سأستمر طالبًا للعلم إلىٰ أن أموت، وهكذا شأن العلماء، بينما بعض الناس تجده يحصل من العلم قليلا وربما يحفظ له متن أو متنين ثم يحسب أنه أحاط علمًا ويدع العلم ويدع التحصيل وينقطع، بينما الواجب واللائق بالإنسان أن يكون طالب علم إلىٰ أن يتوفاه الله، ولا يزال الإنسان بخير ما دام يعلم من نفسه أنه بحاجة إلىٰ طلب العلم وإلىٰ تحصيله.

ومن قال عن نفسه إنه عالم وادَّعىٰ لنفسه العلم والإحاطة بالعلم، فهذا من أمارات جهله، وأمارات تقصيره وضعفه، فالحديث فيه فضل طلب العلم وعظم ثوابه عند الله، وأنَّ العلم هو باب الخير، فالخير لا يُنال إلا من طريق طلب العلم، وبدون طلب العلم لا ينال الإنسان الخير، قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» فالخير لا يُنال إلا بالفقه في الدِّين.

ونسأل الله جل وعلا أن يفقِّهنا وإياكم في دينه، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.